مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد:08 / العـدد: 01 (2022)، ص 119 - 134

التغيرات الدينية في الشرق الأدنى القديم خلال القرنين 6- 5 ق م

Religious Changes in the Ancient Near East during the 6th-5th Centuries BC

ط د. محمد العيهار[1*] ، أ د. العقون أم الخير[2]
[1] جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، mohammedlaihar@live.fr
[2] جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، Laggoun.oumelkheir@univ-oran1.dz

تاريخ الاستلام: 2021/11/22 تاريخ النشر: 2022/06/11

ملخص:

توازيا مع حركة التغيرات السياسية والديموغرافية في منطقة الشرق الأدنى القديم وبروز تحديات الشعوب الهندواوربية في محاولة اكتساحهم للمنطقة بدءا من القرن السابع قبل الميلاد، اخدت نزعة التوحيد الديني تشق طريقها بصعوبة لفرض نفسها على معتقدات التعددية، إذ اتجهت الشعوب السامية (الجزرية) والشعوب الهندواوربية (الآرية) على السواء نحو التوسع العسكري لضمان بقائها واستمراريتها.

فالموضوع ليس إعادة لما كتبه المؤرخون حول هذه الفترة من تاريخ الشرق الأدنى القديم بقدر ما هو رصد لفكرة التوحيد الديني من مضمونها السياسي خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، والتي اجتمعت ظاهريا في ثلاثي عقدي متميز الزرداشتي، اليهودي، القمري، ذلك انه في مرحلة سابقة من تاريخ الشرق الأدنى القديم كان البعد السياسي في العقائد الوثنية مرتبطا بالسلطة الحاكمة ضمن دائرة ضيقة اصطلح عليها الباحثون بعلاقة القصر بالمعبد في حدود الممارسة السياسة اليومية.

كلمات مفتاحية: عقيدة التوحيد، الزرداشتية، اليهودية، سن، بابل، التهجير البابلي، التوراة.

Abstract:

In parallel with the movement of political and demographic changes in the ancient Near East region and the emergence of the challenges of the Indo-European peoples and their attempt to sweep the region starting from the 7th BC, the trend of religious monotheism made hardly its way to impose itself on the beliefs of the pluralism. As the Semitic peoples and the Indo-European peoples (Aryans) tended both towards a military expansion to ensure its survival and continuity.

The issue is not a repetition of what historians wrote about this period in the history of the Near East, rather it is an observation of the idea of the religious monotheism from its political

* المؤلف المرسل

content of a doctrine during the 6th and 5th centuries BC, which ostensibly came together in a distinctive nodal trio of Zardashti, the Jew, and the Lunar. Since it is in an earlier stage history of the ancient Near East, the political dimension in pagan beliefs was linked to the ruling authority within a narrow circle that researchers have termed the relationship of the palace to the temple within the limits of a daily political practice.

Keywords: Monotheism; Zoroastrianism; Judaism; Sun; Babylon. Babylonian displacement; the Torah.

1.مقدمة:

يظهر أن فكرة التوحيد الديني متأصلة في الفكر الشرقي القديم، نستشفها من بعض النصوص الدينية المبكرة في بلاد النهرين أو في مصر القديمة، إذ مثل الاتجاه التوحيدي الاخناتوني الصفاء الإلهي في الألفية الثانية قبل الميلاد، وهذا الاتجاه له مبرراته التاريخية، الا انه لم يحقق مشروعا سياسيا على ارض الواقع، وفي المقابل فان التوجه الجديد لعقيدة التوحيد في الشرق الأدنى الذي جاء به الفرس والعبرانيون بعد فترات تاريخية من التراكم أضفى عليه طابعا ايديولوجيا إذ نقله من السمة الدينية الصرفة إلى سمة ايديولوجية لأهداف توسعية، وهو توجه تبلور بشكل واضح في القرن السادس قبل الميلاد، يقوم أساسا على فكرة الإيمان باله السماء الواحد.

ونتيجة لهذا الوضع الديني الجديد افرز تأثيرا مباشرا في الأوضاع العامة ببابل، إذ خلق موقفا أفضى إلى صراع ديني داخلي بين المنظومة الكهنوتية التقليدية التي حاولت الحفاظ على امتيازاتها رافضة مواجهة التغيير، وبين موقف آخر ملوكها نبونائيد **nabounaid** هذا الأخير الذي اتجه نحو توحيد ذي سمة وثنية للوقوف أمام التحديات، لكنه استطاع أن يجمع حوله العديد من القبائل العربية ويدعوهم إلى عبادة القمر- سن.

لقد عرض المؤرخون الحالة السياسية والدينية والاقتصادية والعسكرية لهذه الفترة التاريخية في الشرق الأدنى القديم دون تحليل المتغير الديني المتمثل في عقيدة التوحيد الذي شهدته هذه الفترة من التاريخ.

من خلال الاطلاع الأولي على الموضوع يفترض أن عقيدة التوحيد الديني خلال هذه الفترة من التاريخ برزت لدواع سياسة نتيجة تكريس مشروع إمبراطوري توسعي فارسي من جهة ومشروع ثوري توسعي كلداني من جهة اخرى، حيث يجد الباحث نفسه أمام مشروعين متناقضين، مشروع التوحيد الديني الإمبراطوري ومشروع التوحيد الثوري، في حين استفادت الجماعة العبرية في خضم هذا الصراع حيث تمكنت من فك عزلتها وإعادة تفعيل فكرة بناء الهيكل والمجتمع اليهودي الجديد.

وعلى ضوء هذا يجدر بنا أن نتساءل عن الظروف التي ساهمت في بروز التوحيد الديني خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وابعاده السياسية؟ .

2 . نزعة التوحيد الديني خلال القرنين 6- 5 ق م .

2-1 . البيئة الدينية

من الصعوبة الإقرار ببيئة ما كان لها الفضل في دعوة التوحيد الديني ذلك أن الشرق الأدنى القديم كان يعيش حالة دينية ثقافية حضارية تكاد تكون متشابهة، إذ أن دور التأثير و التأثر كان عاملا حاسما في تشكيل الأنماط الاجتماعية والسياسية التي سايرت الشروط المادية السائدة، الأمر الذي صعب على الباحثين المختصين في تاريخ الحضارات القديمة معرفة الأصول والأسبقيات سواء المعرفية منها أم الدينية لدى العديد من الحضارات التي نشأت بمنطقة الهلال الخصيب، التي تمتد من دلتا النيل غربا إلى دلتا نهري الدجلة والفرات شرقا و تواجه منتصفها شبه جزيرة العرب (فخري، 1963: 17).

وفي حدود المعرفة الأولية لحضارة الشرق الأدنى القديم فإن البيئة الحضارية والثقافية ظلت متجانسة، ساهمت في تشكيلها العديد من القوميات الجزرية (السامية) منها أو الهندواوربية (الآرية) وأضفت عليها روحا شرقية لامست الفضاء الجغرافي والطبيعي، ومهما يكن فإن الشرق الأدنى القديم شهد طورا حضاريا ثقافيا اجتماعيا

ضمن البنية نفسها منذ بواكير عهوده وبالإمكان تتبع ذلك من مرحلة النشأة والسير إلى غاية مرحلة التراجع والتقهقر ضمن معالم زمنية اتفق عليها الباحثون.

اعتبر مؤرخو الحضارات أن الحضارة المصرية و حضارة بلاد النهرين من الحضارات الأصيلة (توينبي، 1983: 90) التي كان لها تأثير مباشر على حضارات الجوار العيلامية و الحثية و الكنعانية وغيرها من حضارات غرب آسيا وخاصة في الجانب الروحي منه، إذ أن الإنسان الشرقي القديم استطاع أن يصوغ مفاهيم دينية متعددة و ذهب رونس سميث R.Smith إلى أن الأفراد جميعا كانوا على درجة من الحس الديني، وهذا الحس كان يوازي انتماءهم الاجتماعي في تأدية واجباتهم الدينية بإخلاص حسب شخصياتهم وميولهم (سميث، 1997: 29) ، لأن البناء الروحي و العقدي للإنسان توافقا مع تطورات الحياة اليومية لديه فأكسبته حيوية الإبداع و صفاء الذهن و فكرا تأمليا صاغ عباراته ببراعة لا متناهية (الماجدي،08:1998).

2-2. مفهوم التوحيد الديني:

إن الأديان التوحيدية "Monothéisme"عادة هي الأديان التي آمنت بوجود إله واحد دون سواه أي القول بوجود إله واحد شخصي، فالكون في حاجة إليه أما هو فليس في حاجة إلى أحد، وتقابله التعددية الإلهية "polythéisme" (آخرون، 1971: 66) ، فالتوحيد له عدة أوجه و مفاهيم فقد يكون مصدره وحيا أو وضعيا ويتمظهر بمظاهر مختلفة كتوحيد عبادة الذي ساد عند اليهود أو التوحيد العرفاني الذي جاء به أخناتون و نابونائيد أو التوحيد الثنوي الذي نادى به زرادشت أو التوحيد الفلسفي الذي دعا إليه أرسطو أو التوحيد المسيحي القائم على التثليث أو التوحيد الإسلامي الخالص.

" إن التوحيد الذي صاغته الديانات المشرقية بشكل خاص خلال الألف الأول قبل الميلاد ترافق مع صعوبة ذات طبيعة فكرية وعاطفية إذ تصور أن الله كلي القدرة وكلي المعرفة وكلي الحضور ومنبع العدل والخير" (السواح، 2000: 01). ومرجع ذلك أن المجتمعات الزراعية في الشرق الأدنى كانت تحمل إيمانا غامضا بوجود إله كبير في السماء

اعتقدت بوجوده المجتمعات البدائية فهذا التوحيد الاولاني الذي ذكره ميرتيشيا عرف بالتوحيد الأصليmonothéisme originale وهو من الافتراضات الاتنولوجيا التي لم تحسمها دراسات أديان ما قبل التاريخ (الياده، 2007: 35)، (كوفان، 1988: 46)

ولما كانت منطقة الشرق الأدنى القديم منبعا للحياة الروحية جعلت منها حضارة دينية بالدرجة الأولى أعطت مفهوم الالوهية خاصيتها، ففي العراق القديم عرفت الأديان تعدد الآلهة "الشركية" ، كما عرفت ظاهرة التفريد و هو شكل من أشكال التوحيد أقل درجة من التعددية حيث برز فيه المعبود الرئيسي كإله مركزي يرتقي فوق الآلهة (باقر،1955 : 303)، باعتبار أن الدين حدثا اجتماعيا يخص المجتمع، كان الإله يمثل الملك الحقيقي للبلاد و الحكام هم نوابه على الأرض، هذه التمظهرات السياسية (بوتيرو، 1990: 244) وبالإمكان تتبع أدوارها الأولى في مركزين حضاريين ثقيلين في الشرق الأدنى هما العراق القديم و مصر القديمة مهدا الحضارة الإنسانية.

3. الوضعية التاريخية خلال القرنين السادس والخامس ق.م:

3-1.التوحيد الديني في تمظهراته السياسية:

تمثل الفترة التاريخية من القرن السابع قبل الميلاد مرحلة إرهاصات جديرة بالاهتمام والبحث، فالتحولات السياسية والدينية الطارئة ارتبطت بالاتجاه نحو التوحيد الديني الذي ظهر جليا ما بين القرنين السادس والخامس ق.م، هذا الاتجاه الذي ارتبط ميدانيا بتحركات عسكرية خلال هذه الفترة التاريخية، وكان له أثر مباشر في إعادة التمركزات الاثنية بمنطقة الشرق الأدنى القديم في محاولة السيطرة على الخطوط التجارية الدولية، ذلك أن التوحيد الديني خلال هذه الفترة خرج من إطاره الفردي والمحلي إلى إطار عالمي.

ففي بلاد فارس و ميديا كان للدعوة الزرادشتية أثرها في نفوس شعبي ميديا وفارس و على المهجرين الذين سباهم ملوك أشور و كلدان من جماعات متعددة، فمنذ القرن السابع قبل الميلاد بدأت ملامح التغير تطرأ على منطقة الشرق الأدنى القديم صاحبه

شعور قومي متأجج كان يسعى للمحافظة على الكيانات العرقية ضمن إطار سياسي يضمن قدرا من الاستقرار و الاستمرارية، الأمر الذي ولد نهضة حضارية غريبة لم تكن متوقعة، لعبت العقائد الدينية فيها دورا كبيرا في تجييش المنطقة و محاولة إحياء ما تبقى من أمجاد، على نحو يوحي بتطور في البنية التاريخية للعصر القديم، إلا أن هذه الحركية لم تكن قادرة على تجاوز الحالات الاقتصادية و الاجتماعية والسياسية على نحو أفضل أو إحداث قطيعة معرفية تؤسس لمجتمع جديد. (فخري، 1963: 47)

وليس ما يمكن رصده تاريخيا خلال هذه الفترة الواقعة ما بين القرنين السابع والرابع قبل الميلاد سوى إعادة التمركزات الاثنية من مناطقها الأصلية إلى مناطق التهجير، والتوجه الديني التدريجي نحو عقيدة التوحيد، وسعي الدول العسكرية النافذة في بسط نفوذها على الخطوط التجارية الدولية، لكنه في نهاية القرن الخامس للميلاد قدر لملوك فارس بسط نفوذهم العسكري على منطقة الشرق الأدنى وشمال إفريقيا.

ولم تكن النهضة الطارئة خلال هذه الفترة سائدة في الشرق الأدنى فحسب بل امتدت إلى شرق آسيا بانتشار تعاليم كونفوشيوس وديانة بوذا (شلبي، 2000: 131)، (مراد، 2000: 177-178) وهي بنفسها لم تكن بعيدة عن مسرحها السياسي بل جاءت استجابة إلى أوضاع اجتماعية كانت سائدة، أما في الشرق الأدنى فبالإمكان رصد الأوضاع على النحو التالي:

ا- تراجع القوة العسكرية الآشورية

كان انهيار القوة العسكرية الآشورية مفاجئا خلف سقوط إمبراطورية حكمت أجزاء واسعة من الشرق الأدنى، وذكر المؤرخون أن الآشوريين في نهاية القرن العاشر ق.م تحولوا إلى قوة عسكرية مهيمنة حتى سقوطها في القرن السابع ق.م، وفي واقع الحال شهدت الإمبراطورية الآشورية ضعفا منذ نهاية عهد الملك آشور بانيبال 629-627 ق.م بسبب الأزمات الداخلية وانتشار الفوضى والقلاقل السياسية في عديد من مدنها.

ففي بابل نشبت انتفاضة 626 ق.م دامت ثلاث سنوات، لما سقطت نينوى على يد قوى التحالف الثلاثي البابليين والمبديين والسكيت (المنعم، 2008: 30-31)، وفي عام 612 ق.م كثف البابليون والميديون وقبائل السكيت Scythian هجماتهم على مناطق عدة من بلاد آشور انتهت باستقطاع الميديين للمناطق الواقعة شمال شرق بابل، أما البابليون فضموا الجنوب الغربي من بابل إليهم(GContenau, 1963 ;119) .

ب- إحياء النهضة في مصر و تأسيس دولة الكلدان في بابل

استفاد المصريون من تقهقر الإمبراطورية الآشورية التي أخذت الفوضى تدب في أوصالها فاتجه الفرعون بسامتيك إلى تأسيس الأسرة السادسة والعشرين663_525 ق.م بتوحيد نبلاء مصر واتخاذ سايس SAIS عاصمة له وبذلك دخلت مصر عهد نهضتها، إذ سعى بسامتيك إلى توسيع حكمه بعيدا عن السيادة الآشورية محاولا استرجاع أغلب المناطق التي سيطر عليها رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد في المناطق السورية، وكان انسحاب القوات الآشورية من مصر سنة 610 ق.م بمثابة عهد جديد في التاريخ المصري.

عرض هيرودوت قصة الزحف الأسطوري لبسامتيك على المناطق الشرقية من مصر معتمدا في ذلك على جنود الأجانب وتحالفات مع ملك ليديا، وقد واصل الملوك الذين جاؤوا من بعده تكريس سيادة مصر على ممتلكاتها.

ولما استلم نيخاو الثاني الحكم أعاد نفوذ مصر في غرب آسيا وأخضع مملكة يهوذا لسيادته وحاول مساعدة الآشوريين خوفا من تعاظم القوة الكلدانية المنافسة لمصر، لكن هذه السياسة جاءت متأخرة (حسن، 1957: 91).

استطاع الملك البابلي نبوبولاصر إضعاف الآشوريين و أبرم تحالفا مع ملك ميديا "كي أخسار" انتهى بسقوط نينوى و اقتسام المملكة الآشورية عام 612 ق.م، و لما تولى ابنه نبوخذ نصر الحكم 604-562 ق.م اتبع سياسة توسعية شملت بلاد العرب "أريبي" و

بعد وفاته نصب صهره (زوج ابنته) نرجال شار 560 ق.م ملكا على بابل (باقر، 1955: 200).

ج-انهيار مملكة يهوذا:

كانت مملكة يهوذا تدفع الجزية للآشوريين منذ 612 ق.م ولما حكم الكلدان بابل حاصر الملك نبوخذ نصر أورشليم وأزاح الملك يهوياكين وعين بدله صدقيا (V.Nikiprowetzky, 1974 ; 252-255). لكن هذا الأخير وثق علاقته مع فرعون مصر بسامتيك الثاني، فاضطر الملك الكلداني نبوخذ نصر إلى مهاجمة أورشليم فحاصرها وورد ذلك في سجلات الكلدان، حيث عثر على نص مختزل يبين سعي ملوك بابل لتأديب الممالك المصرية، إلا أن التوراة لم تذكر شيئا عن الحدث بينما ذكرته البرديات المصرية التي تعود إلى عام 591 ق.م ذكرت أسباب حملة نبوخذ نصر ومحاصرته لمملكة يهوذا وتهجير أهلها (السواح، 1995: 265).

ويذكر المصدر التوراتي أن الملك نبوخذ نصر حاصر مملكة يهوذا للمرة الثالثة وفي السنة التاسعة عشرة من حكمه قام بحرق الهيكل وبيوت أهل يهوذا ودمر أسوارها (سفر الملوك الثاني 25 : 8 / 11 و قد ذكرت أسوار اورشاليم مهدمة في سفر نحميا 2: 13.) و قد تنبأ النبي أرميا بأن الله سيعاقب بني إسرائيل بسبب خطاياهم لمدة سبعين سنة (8، سفر دانيال 25 : 8)، و كشفت البحوث الأثرية بالقدس الفلسطينية علامات تدل على حريق عظيم في مدن أخرى من يهوذا تعود إلى 586 ق.م . (سفر دانيال 25 : 8)

هـ- الحضور القوي لعقيدة التوحيد الديني بشكل جلي في القرنين 6 و5 ق.م

كان حضور عقيدة التوحيد الدينية في القرنين السادس والخامس ق.م مرتبطا بظروف المرحلة التاريخية التي شهدت صراعا دوليا، فهذا التوجه الجديد اكتسى طابعا إيديولوجيا، إذ نقل من السمة الدينية الصرفة إلى سمة إيديولوجية توسعية قامت أساسا على الإيمان بإله واحد، وهذه العقيدة التي آمن بها قورش الكبير ملك فارس تطابقت مع فكرة الإله الواحد العبري يهوه فأتيحت الفرصة للعبرانيين أن يستقووا

بحليف فارسي يعيدهم إلى أورشليم وأن يقبلوا بتحويلهم إلى طرف مساند في مواجهة مصر.

في هذه الفترة من التاريخ تمكن العبرانيون اليهود من صياغة كتابهم المقدس على ما تبقى من شريعة موسى عليه السلام، الا أن هناك من الباحثين من شككوا في محتوى الصياغة إذ لم تكن سوى انتحال للشريعة الفارسية المستمدة أصلا من التشريع البابلي القديم.

كان للوضع الديني الجديد أثره المباشر على الأوضاع العامة في بابل و قد أدرك الملك نابونئيد خطورة الموقف فاتهم المنظومة الكهنوتية التقليدية في بابل بالتقاعس في تأديتها لواجباتها الدينية، فاضطر إلى خلق توجه ديني جديد ذي سمة عرفانية بخلفية إديولوجية سياسية توسعية، إذ استطاع أن يجمع حوله العديد من القبائل العربية في تيماء و يدعوهم إلى عبادة القمر -سن، حيث أعاد نابونئيد إحياء معبد القمر:" فالإمبراطور البابلي يعيد إلى حران المهدمة و المهجورة إلهها القديم التقليدي سن و لكن لا كإله محلي ، بل كإله شمولي أوحد يجمع إليه سلطات بقية الآلهة العظام، ولكن هذا المعتقد الجديد يدور حوله إله قديم في صورة جديدة" (السواح، 1995: 276) .

ونخلص أن التحول في العلاقات بين الجماعات الشرقية في غرب أسيا القديم خلال هذه الفترة الانتقالية من تاريخها يجعل الباحث يقف على بداية تفعيل الكيانات القومية في هده المنطقة ويظهر ذلك جليا بوضوح من خلال سعيها للبقاء والاستمرارية.

2-3. البعد الاجتماعي لعقيدة التوحيد:

إن عقيدة التوحيد الديني في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد اتجهت اتجاها سياسيا ايدولوجيا قي ظل أربع حالات جديدة على المستوى الاجتماعي.

الحالة الأولى: التغير الديموغرافي الذي مس جماعات عرقية مهجرة لضرورات سياسية اجتماعية ومثلت حالة السبي البابلي نموذجا فريدا من نوعه.

الحالة الثانية : الازدهار الحضاري المفاجئ الذي قام على إحياء التراث البابلي و الفرعوني و ما هو الا حالة طارئة كان دوافعها تكريس الحضور و البقاء ورفض الاندثار.

الحالة الثالثة: الحضور القوي لعقيدة التوحيد السماوية لان أنبيائها وأتباعها أقروا بمصدرها اللاهي السماوي.

الحالة الرابعة: الحضور الآري القوي سياسيا وعسكريا شكل رد فعل مماثلة لدى شعوب الهلال الخصيب وعرب شبه الجزيرة وسكان شمال إفريقيا، وهناك من الدلائل التاريخية ما يؤكد عن ردود الفعل التي قامت بها تلك الشعوب في ومواجهة الغزو الآري.

ولرصد الظاهرة الدينية التوحيدية في الديانات الشرقية خلال القرنين السادس والخامس ق.م والتي اجتمعت ظاهريا في ثلاثي عقدي متميز يهودي، زرداشتي، قمري يجدر بنا تسليط الضوء على النشأة التأسيسية للديانات الثلاث.

4. الديانات التوحيدية في القرنين 6-5 ق م:

4-1. التوحيد العبري-اليهودي:

قام التوحيد العبري "اليهودي" على عبادة إله قومي دون إنكار آلهة الشعوب الأخرى، وتذهب الدراسات الأثرية على أن الإرهاصات الأولى للتوحيد العبري- ما قبل اليهودية- تشكل في عهد الملك اشعيا ملك يهوذا 639-608 ق.م إذ مثل عهده ذروة التاريخ الإسرائيلي، حيث رسمت له التوراة صورة مثالية ذكرت في سفر الملوك الثاني على النحو الآتي "و لم يكن قبله ملك مثله قد رجع إلى الرب بكل قلبه، و كل نفسه و كل قوته حسب كل شريعة موسى، و بعده لو يقم مثله". (سفر الملوك الثاني 23:25.)

شهد عهد اشعيا إصلاحات دينية قدر لها أن تستأصل العبادات الوثنية، فهذه الحركة الدينية التي قام بها أشعبا وضعت أساس اليهودية المستقبلية أنتجتها بعض الوثائق المقدسة وأهمها سفر التثنية الذي عثر على أجزاء منه أثناء ترميم معبد في أورشليم (فنكلشتاين،232:2017).

وفي واقع الأمر لا وجود لوثائق تعود قبل القرن السابع الميلاد وحتى قبل هذا التاريخ لا وجود لديانة يهودية بمعناها الصحيح وإنما دعوات للتوحيد نادى بها أنبياء بني إسرائيل أمثال حزقيال وعاموس.

ذلك أن الديانة اليهودية تعرضت منذ تأسيسها على يد محرري التوراة في القرن الخامس قبل الميلاد إلى العديد من التعديلات حتى استقرت على ماهي عليه في القرن العاشر الميلاد على يد أبرز منظريها موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي (ذؤيب، 1963: 01-02).

استمدت الديانة اليهودية التي وضعها عزرا كاتب الشريعة في القرن الخامس قبل الميلاد بعضا من تعاليمها الموسوية حتى عد عزرا بمثابة ابن الله، فالأثر التثنوي واضح في مضامين النص اليهودي الذي يرجع إلى الملك اشعيا، ويبدو أن سفره دوّن في مرحلة لاحقة تزامنت مع العصر الإمبراطوري الفارسي لأن التأثير الزرداشتي واضح في نصوصه على لسان يهوه "أنا الرب ليس آخر مصور وخالق الظلمة، وصانع السلام، وخالق الشر، أنا الرب صانع كل هذا" (.، سفر اشعيا.45: 6-7 .).

إن اليهودية التي صاغها كتبة التوراة ترعرعت ببابل في ظروف سياسية وتاريخية طارئة، وبالرغم من مظهرها الديني وإيمانها اليقظ إلا أنها كانت محملة بثقل من الإيديولوجية والسياسة

2-4. التوحيد الثنوي الزرادشتي:

ظل تاريخ اعتناق الفرس وحكامهم لهذه الديانة مجهولا على وجه الدقة (براون، 2005: 188)، فالنصوص الواردة عن الملوك الأخمنيين تشير إلى أنهم آمنوا بأهورمزدا فهل اتخذوا من الزرادشتية ديانة لهم؟ فالنقوش المكتشفة التي ترجع إلى هذه المرحلة تضمنت إثباتا لا شك فيه أن سلطة هؤلاء الملوك كانت بأمر إلهي(khalkhli, 2011 ;38.) ، وذهب لوكوك Le Coq إلى أن الشعوب الإيرانية ذات أصول دينية ولغوية مشتركة فالفرس الأخمنيون كانوا يرون في العقيدة الزرادشتية تراثا مشتركا لأكثر من ثلاثين قبيلة آرية

استوطنت إيران منذ القدم، فإحدى الوثائق الأثرية كشفت عن معتقد داريوس 522-486ق م ذكرها الباحث بيار بريان P.Briant ومنها نقش ورد فيه اسم أهورامزدا هذا نصه:

على هذه الشرفة من الأرض أين يقيم القصر.

قبل أن يكون القصر موجودا. بإرادة أهورامزدا وكل الآلهة. وجد هذا القصر (Briant, 1996 ;229).

وعثر على رسم همذان الذي تضمن نقشا بالخط المسماري منسوبا إلى داريوس الكبير هذا نصه: " إنه هو الله الإله العظيم أهورا مزدا الذي خلق هذه الأرض والذي خلق هذه السماء والذي خلق الناس والذي جعل داريوس ملكا "

وفي نقش آخر يرجع إلى الملك داريوس في تخت جمشيد هذا نصه: " أهورا مزدا الكبير هو أكبر الآلهة الذي خلق الملك داريوس. (حقيقت، 2012: 93-154)"

و يرى بريان Briant أن الملوك الأخمنيين كانوا يرون قوتهم ومجدهم في أهورامزدا، وذكرت نصوص أخرى أن الملك كسركسس xerxés منع كل الطقوس التي لا تقام لأهورا مزدا(khalkhli, 2011 ;41.) ، لأن ما عرف عن الأخمنيين التسامح الديني مع الشعوب المنضوية تحت سلطة الإمبراطورية، فاتجه الملك داريوس إلى إعادة ترميم المعابد واحترام آلهتها و هي سمة أخلاقية زرادشتية، (فرح، 1972: 96) وذهب في تسامحه إلى إقامة صلاته بمعبد سايس الكبير، حيث تم العثور على نقد معدني يرجع إلى عهده عليه علامات تظهر الشمس والزهراء فذهب الباحثون أنها من التأثيرات البابلية (بيرنيا، د.ت:277- 288) أظهرت مثلها نقوش نابونيد في تيماء.

ويحتفظ المتحف البريطاني على رقم طيني مشوه أشار إليه الباحث باليو ذكر فيه أن قورش الكبير عامل أهل بابل بالحسنى حتى ظنوا أنه مبعوث من الإله ومجد مردوخ وادعى أنه أرسله إلى أهل بابل لإنقاذهم من العبودية التي سلطها عليهم نابونئيد الذي لم يطع الإله المعبود (باقر،06:1946)، فأقدم على تجديد المعابد والأسوار وقيل إنه كان

يحمل الحجارة بيديه وهي من عادة الملوك المتسامحين فاستطاع باتباع هذه السياسة أن يكون بابليا أكثر من البابليين ووعدهم أنه سيعيد المهجرين إلى أوطانهم الأصلية (28-13 lackenbacher,1992,).

وذكر الباحث فراس السواح في هذا الشأن نقلا عن الباحث طوماس طومسون: " فقد عملت الإدارة الفارسية على مطابقة الآلهة المحلية في المجتمعات الجديدة التي تم خلقها أو إحياؤها في حلة جديدة مع إله السماء الفارسي أهورا مزدا الإله الواحد الحق الذي بشر به زرادشت.... أن إمبراطورية على قدر هذا من الاتساع لا يمكن ضبطها إلا بنظام قانوني تشريعي واحد وإله واحد أسماؤه وتجلياته في الأقاليم "(السواح، 1995: 278)

ربما يكون هذا السلوك الذي صدر عن قورش العظيم نابعا من تعاليم الديانة الزرادشتية هذه الديانة التي جعلت الملوك الأخمنيين متميزين عن غيرهم، و ربما تكون هذه الديانة هي التي أكسبتهم القوة و المجد، ومن المحتمل أن الإسكندر المقدوني أدرك هذه الميزة فأقدم على حرق الأفستا .

3-4. -التوحيد الكلداني –القمري-

يعد نابونئيد آخر ملوك الكلدان 556-539 ق.م ويذكر أنه تخلى عن ديانة بابل الرسمية ديانة مردوخ، وحاول توطيد عبادة الإله سن، واعتبره الإله الواحد للإمبراطورية إذ تشير المصادر الأثرية إلى انه اعتلى عرش بابل بدعم من كهنتها الذين كانوا يرون فيه كاهنا ورعا وأحد أبناء كهنة معبد حرّان، حيث أنه أولع بجمع أخبار الماضي والتنقيب عن الآثار (باقر، 1955: 212).

تشير كتابات نابونئيد إلى أنه أجرى مفاوضات سرية مع الملك قورش الكبير لمهاجمة الميديين الذين كانوا يستولون على مدينة حرّان وربما كان تحالفه لعجزه عن تحريرها بمفرده وجاء في إحدى السجلات الأثرية أن الإله مردوخ أوعز له بتحرير معبد حرّان من يد استيياكز Astyages ملك الميديين.

جاءت فكرة إعادة بناء معبد حران ضمن سياسة معروفة لدى ملوك كلدان تقوم أساسا على فكرة عودة الآلهة المهجورة إلى معابدها، وهي نفس السياسة التي اتبعها قورش الكبير بصفته منقذا للجماعات المهجرة، وحتى نصوص نابونئيد تدعي أنه محرر الآلهة ورعاياها ومعيد توطينها في أماكنها الأصلية، ومن جملة هذه الآلهة الإله سن بحرّان وورد في نص أثري ".... هو سيد الآلهة والإلهات في السموات العلى ونزل إلي أنا نابونئيد و دعاني لأن أكون ملكا بعد أن تضرع إليه كل الآلهة و الإلهات، ليفعل ذلك و في منتصف الليل جاءني في الحلم و قال لي أعد بناء أهلهول معبد سن في حرّان و لسوف اسلم إلى يديك قيادة البلاد جميعا "(السواح، 1995: 276).

ففي بداية حكم نابونئيد عمل على تعيين تابعيه " زربا " و " يرموت " لمنصب الكهانة رغم معارضة هيئة كهنة مردوخ له فأسرع في صياغة عقيدة جديدة قامت على الإيمان العميق بالروح الإلهي وتنقية النفوس من أجل الخلاص فأدخل مفهوم العقاب والثواب والجنة والنار في ديانته، وأخذ يبشرهم بخلود الروح عكس العقيدة المصرية الأزوريسية التي آمنت بخلود الجسد (الماجدي، 1998: 239).

و في السنة الثالثة أو السادسة من حكمه خرج نابونئيد من بابل ليقيم في تيماء بعدما ترك ابنه بيلشاسر على عرش بابل و كانت المؤونة تنقل إليه عن طريق الوركاء(سماوة) بواسطة الجمال و نشر سيدني سميث 1924 نصا مكتوبا على لوح طيني وردت فيه عبارات عدائية كتبها خصومه و اتهموه بقتل حاكم تيماء (رشيد، 1973: 115)، هذه المدينة الصغيرة التي كانت بمثابة دار الهجرة له مثلما كانت تل العمارنة دار هجرة لأخناتون فلبث فيها عشر سنوات معتكفا يبشر بديانته بين قبائل العرب بعدما استطاع أن يسيطر على منطقتين تجاريتين دوليتين تحكمتا في تجارة القوافل و هي حرّان و تيماء.

إن محاولة التوحيد الكلداني تدخل ضمن الإيديولوجية الدينية في المنطقة التي قامت على ثلاث أفكار رئيسة فكرة الإله الواحد – فكرة إعادة بناء هيكل هذا الإله الواحد – وفكرة بناء مجتمع جديد يتمركز حول الهيكل وإلهه (السواح، 1995: 276).

خاتمة

إن فكرة التوحيد الديني خلال القرنين السادس و الخامس ق.م كانت تسعى إلى تجسيد مشروع توحيد شعوب الأرض في إمبراطورية واحدة و إعادة بناء العلاقات السياسية و الدينية بين الجماعات الشرقية في غرب آسيا إذ يلاحظ أن التوحيد الديني بمضمونه السياسي وكان له حضوره في عقائد الشرق الأدنى القديم، ذلك أن الوثنية كان لها دور فاعل في المؤسسة السياسية و الدينية و كانت التجارب الداعية للتوحيد الديني كثيرا ما تتعرض للرفض و القمع ومن المؤكد أن أكثر الناس كانوا على الشرك و أقلهم على التوحيد و أن هذه الطائفة القليلة إما تكون معروفة أو متسترة على إيمانها و لهذا السبب لم تذكرها النصوص الأثرية.

- قائمة المصادر والمراجع:

- سفر اشعيا .(. سفر اشعيا7-6 :45.) .
-.سفر الملوك الثاني .13 :2و قد ذكرت أسوار اورشاليم مهدمة في سفر نحميا 11 / 8 : 25
- سفر دانيال .(8 : 25سفر دانيال) .د .س 8
- السواح ,ف .(1995) .أرام دمشق و إسرائيل في التاريخ و التاريخ التوراتي .دمشق :دار علاء الدين.
- السواح ,ف .(2000) .الرحمن و الشيطان الثنوية الكونية و لاهوت التاريخ في الديانات المشرقية .دمشق : دار علاء الدين.
- الماجدي ,خ .(1998) .متون سومر .الأردن :الأهلية للنشر و التوزيع.
- المنعم ,ا .ر .(2008) .نبوخذ نصر و مملكة بابل .دمشق :جيزة دار طيبة للطباعة.
- الياده ,م .(2007) .البحث عن التاريخ و المعنى في الدين) .ت .س .المولى (.Trad ,بيروت :مركز توزيع دراسات الوحدة العربية،.
- باقر ,ط .(1946) .ديانة البابليين و الآشوريين .مجلة سومر الأثرية ,مج.06 ,(01)02
باقر ,ط .(1955) .مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة .Vol)ج .(01بغداد :طدار الشؤون الثقافية العامة.
- براون ,ا .(2005) .تاريخ الآداب في إيران) .ت .ا .حلمي (.Trad ,القاهرة :المجلس الاعى للثقافة.
- بوتيرو ,چ .(1990) .بلاد الرافدين.الكتابة.العقل.الآلهة) .ت .ا .أبونا (.Trad ,بغداد :دار الشؤون الثقافية العامة.
- بيرنيا ,ح) .د.ت .(تاريخ ايران القديم .القاهرة :المركز القومي للترجمة.
- توينبي ,ا .(1983) .تاريخ البشرية .Vol)ج .(02بيروت :الأهلية للنشر و التوزيع.
- حسن ,س .(1957) .مصر القديمة ، عصر النهضة المصرية .Vol)ج .(12القاهرة :مطبعة جامعة القاهرة.
- حقيقت ,ع .ا .(2012) .دور الايرانيين في تاريخ الحضارة العالمية) .ت .ع .السباعي (.Trad ,القاهرة :المركز القومي للترجمة.
- ذؤيب ,أ .(1963) .موسى بن ميمون حياته و مصنفاته .مصر :مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر.

- رشيد ,ص .أ .(1973) .دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء .مجلة سومر الأثرية، ,مج)29ج --01 02), 115.

- سميث ,ر .(1997) .محاضرات في ديانة الساميين) .ت .ع .علوي (.Trad ,القاهرة :المجلس الأعلى للثقافة،مطابع الأهرام.

- شلبي ,أ .(2000) .أديان الهند الكبرى .القاهرة :مكتبة النهضة المصرية.

- ص .,6ط .ب .(1946) .ديانة البابليين و الآشوريين .مجلة سومر الأثرية ,مج.06 ,(01)2

- فخري ,ا .(1963) .دراسات في تاريخ المشرق القديم .القاهرة :المكتبة الانجلومصرية.

- فرح ,ن .(1972) .موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم .دمشق :دار الفكر.

- فنكلشتاين ,إ .(2017) .نيل اشر سليبرمان،التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها على ضوء اكتشافات علم الآثار) .ت .س .رستم (.Trad ,دمشق :،صفحات للدراسات و النشر.

- كوفان ,ج .(1988) .ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام) .ت .س .محيسن (.Trad ,دمشق :دار دمشق للطباعة و النشر و التوزيع.

- مراد ,س .(2000) .مدخل إلى تاريخ الأديان .القاهرة :عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية.

- مراد هبة وآخرون .(1971) .المعجم الفلسفي .القاهرة :دار الثقافة الجديدة.

Briant, P. (1996). histoire de lempire perse de cyrus à alexandre . Paris: Payard.

G.Contenau. (1963). les civilisation anciennes du proche-orient. paris: P.U.F.

khalkhli, N. (2011). les inscriptions du la perse achemènède , et leur traduction. Ottawa: universitè d'ottawa.

Lackenbacher, S. (1992 ,). un pamphlet contre nabonide . *persèe dialogues d'histoire ancienne* , 01-18.

Nikiprowetzky .V, P. . (1974). *proche orient asiatique.* Paris: P.U.F.